

جبران خليل جبران – أديب إنساني وفيلسوف شهير

Dr.P Abdu Rasheed
Assistant Professor
Govt.Brennen College,Thalassery.

خلاصة: جبران خليل جبران وليد البيئة، هو أديب وفنان وفيلسوف شهير، تؤثر أحوال لبنان في مجال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في أعماله كثيرة. أطلق الأدب العربي من قيوده الغليظة، وأغراضه الضيقة إلى آفاق جديدة. وكان يجمع بين أفكار الغرب وجمال الشرق، وكان يواجه مشاكل كثيرة في حياته، يضع فلسفته في علاقة الإنسان بالطبيعة. وتكلم بلسان العامة عن الدين والإنسانية والمحبة والحياة والموت والتناسخ. وفيه شكواه ورجاءه وآماله واحزانه وفرحه وآلامه.

الإنسان هو وليد البيئة، أعماله القيمة ونظراته العقلية وتصرفاته الأخلاقية معلقة بالبيئة. وإذا كان هذا الإنسان أديبا أو فنانا لا شك أن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في وطنه تؤثر في أعماله، ومعنى ذلك انه نتيجة بيئته وعصره، جبران خليل جبران هو الذي أطلق الأدب العربي من قيوده الغليظة، وأغراضه الضيقة إلى آفاق جديدة . كان الأدب العربي تحت تقاليد " الكلاسيكية "، ولم يعتبر التحويل من أسلوبه وبيئته وعاطفته من محاسن الأدب . ولذلك اجتهد الأدباء أن تكون آدابهم مثل الآداب الكلاسيكية، وألفوا كتبهم و أشعارهم تقليدا للقديم .

"وكان جبران أدبيا ثائرا متمردا ، وكان الأديب العالمي الذي عاش على دين لبنان ومات

على دين لبنان . وتمثل في أدبه جميع ما في هذا الجيل من توق إلى المعرفة والحرية والانعقاد

والثورة"².

وكان يجمع بين أفكار الغرب وجمال الشرق، ومازج بين معطيات الشرق ومعطيات

الغرب³، وانتشرت شهرته إلى جميع أنحاء العالم. وصار مجيدا عظيما بين النقاد والمفكرين

والأدباء، لا يختلف فيه الشرق من الغرب. وأسلوبه جذاب، وألفاظه تزين كتاباته بالبساطة. ووصف

طريقا جديدا في الأدب العربي . وكتب عن الكون والآخرة والجنة والجحيم والحياة والموت كما

كتب عن الحب والإنسانية، ونثره شعري عذب.

وكان جبران يواجه كثيرا من المشاكل في حياته، ولكن لم يكرها قط. بل كان يحبها كل محبة. وآمن

في محبة الإله للإنسان وعونه ورحمته ورفقه. وفي نفس الوقت كان يؤمن أن هذه الحياة للنزهة واللهم. و

الحياة في رأيه مملوءة بالألم والسرور والفرح والحزن. ونحتاج أن نقضيها مع سرور، كما قال جبران جوابا

عن سؤال "ما هي الحياة؟" " هي أن تركض مع النهار دون أن تدرك الليل. ومع الليل دون أن تدرك النهار.

وألا تتكسر في الركض رجلك أو رقبتك"¹. فاحب شيئا في حياته محبته أن تركض مع النهار والليل. و مع

ذلك يفهم أنه ينبغي أن يواجه مشاكل الحياة، وفي قوله "ألا تتكسر في الركض رجلك أو رقبتك" يشير إلى أن

هناك فرصة لكسر الرجل والرقب. فيجب كل واحد في الحياة أن يحفظ رجلهم ورقبتهم من الكسرة.

و جبران خليل جبران صاغ فلسفته وركزها في كتابيه 'النبى' و'حديقة النبي'. فالأول خلاصة ما وصل

إلى جبران من تجاربه ومعارف الحياة ونهاية ما تأثر به من الآم. وبعض الأدباء يعتبرون أن جبران قضى

² خواطر في الأدب: موسى سليمان ص 61

¹ جبران خليل جبران حياته ، موته، أدبه، فنه: ميخائيل نعيمة ص: 95

حياته استعدادا لإخراج هذا الكتاب الذي يشرح عن سفر نفيس، وان كتبه السابقة ليست سوى مقدمات لما في

هذا الكتاب من حكمة وفلسفة وشعر وفن².

وفي حديقة النبي يضع جبران فلسفته في علاقة الإنسان بالطبيعة. وكذا يشرح في كتابه 'موت النبي' علاقة الإنسان بالله. ويستند جبران إلى نظرات شتى في الله والإنسان والكون والطبيعة والحرية والحب. وهذه النظرات تهدف إلى بناء إنسان أكمل في مجتمع أكمل يوحد بين الأرض ونعيم السماء.

"الفلسفة هي علم الأسباب الأولى والمبادئ الأولى في مفهومها الاصطلاحي. هي علم النفس والإله في نظام فكري متماسك يتناول المعارف البشرية والمسائل الحيوية ويردها إلى أسس محددة ينطلق منها نحو نظرة شاملة إلى الله والكون والإنسان والوجود. والمذهب الفلسفي مجموعة نواميس خاصة تتكامل لتفسر الكون والإنسان والله تفسيراً معيناً"³.

وفي اعتقاده أن نفس الإنسان مخلوق من نفس الإله، وهو مقسم بصفاته كما قال في دمعة وابتسامته "... وفصل إله الآلهة عن ذاته نفساً وابتدع فيها جمالاً"⁴. وهكذا خلق الإله في نفس الإنسان الجمال والفرح والمحبة والحزن واللذة والعاطفة. وان الإنسان من سلالة الآلهة كما قال في 'بنات البحر'⁵. والسلامة في رأيه من أهم الضروريات لحياة الإنسان، وهي فوق الوطنية، وقال واحدة من أشخاصه: "إذا كان الواجب ينفي السلم من بين الأمم، والوطنية تزج سكينته حياة الإنسان، فسلام على الواجب والوطنية"⁶. وكذلك يقول: "أحن إلى بلادي لجمالها وأحب سكان بلادي لتعاسنهم. ولكن إذا ما هبّ قومي مدفوعين بما يدعون ووطنية وزحفوا على وطن قريبي وسلبوا أمواله وقتلوا رجاله ويتموا أطفاله ورموا نساءه وسقوا أرضه دماء بنييه وأشبعوا ضواريه لحوم فتياته كرهت إذ ذاك بلادي وسكان بلادي"⁷. ويرى شرائع البشرية انكاراً لحرية الفرد، ويكره كل القيود

² قصة الأدب المهجري: د/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الكتاب اللبناني - بيروت ص: 65

³ جبران في عصره وأثاره الأدبية والفنية - الدكتور جميل جبر ص: 151

⁴ المجموعة الكاملة - جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة- عربي ص: 256

⁵ دمعة وابتسامته - المجموعة الكاملة - جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة- ص: 254

⁶ بنات البحر: دمعة وابتسامته المجموعة الكاملة - جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة- ص: 255

⁷ دمعة وابتسامته: صوت الشاعر المجموعة الكاملة - جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة- ص 345

التي تحرم حرّية الإنسان ومحَبته ولذات حياته. وقال في لسان بنات البحر " إن قلب الإنسان أفسى من قلب

نبتون"⁸

وبهذا رأى جبران الحياة حقيقة يعيشها الإنسان في هذا العالم مملوءة بالألم. وقال في إحدى رسوماته
وسماها فوارة الألم: وما الحياة كلها إلا فوارة من الألم.

وقف جبران حياته للإنسانية والإخوة العالمية، وكان من لبنان وأحب لبنان شديداً. ولكن رأى الإنسانية
والإخوة فوق كل شيء، حتى فوق الوطنية. وقال جبران. "والأرض كلها وطني والعائلة البشرية عشيرتي،
لأنني وجدت الإنسان ضعيفا ومن الصغر أن ينقسم على ذاته، والأرض ضيقة ومن الجهل أن تتجزء إلى ممالك
وامارات"⁹. وهكذا رأى كل الإنسان نفساً واحدة. وأكرم إخوته لأنه من روح واحد "أنت أخي وكلانا ابن روح
واحد قدوس كلي. وأنت ممثلي لأننا سَجينا جسدين جبلا من طينة واحدة. وأنت رفيقي على طريق الحياة
ومسغي في الإدراك عنه الحقيقة المستترة وراء الغيوم. أنت انسان وقد أحببتك يا أخي"¹⁰. ويسأل جبران لكل
من الناس الذين تخاصمون بينهم. "أنت أخي وأنا أحبك. لماذا إذن تخاصمني"¹¹. وإذن لا حاجة للقتال والجدل
والخصام بين الناس لأنهم إخوة وهنا يرفع جبران شرف الإخوة بين الناس. وكان يكرم كل شيء ويحبها كل
محبة. ولذلك قال "لأن الحكمة الرمادية لم تخلق شيئاً باطلا تحت الشمس"¹². وكان يعتبر حفظ عرض أخيه
أشرف عمل إنساني. ليس القتال والحرب غاية الحياة. وقال: "إن المحافظة على حقوق الغير هي أشرف
وأجمل مآتي للإنسان"¹³.

الحب من أهم موضوعات الأدباء والشعراء في كل عصر. لم يتكلم جبران كلمة إلا بعد أن غمسه في
المحبة. "إن المحبة هي الزهرة الوحيدة التي تنبت وتنمو بغير معاونة الفصول". وكان يحفظ في نفسه محبة

⁸ المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 255

⁹ دمة وإبتسامه - صوت الشاعر- المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 344

¹⁰ المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 34

¹¹ المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 347

¹² المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 345

¹³ المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 348

للإنسانية. وهي التي ساعدته أن يحارب ضد شرائع البشرية. وكان يتكلم عن هذه الأشياء للأجيال الذين واجهوا مأساة الحرب العالم الأولى. ولذلك استمعوا وفهموا قول جبران حق فهمه. وكلماته تسلية لهم. وفي مناسبة قال جبران "خمسون كلمة في اللغة العربية للحب، لتعريض مختلف صورة. ولكن في اللغة الإنجليزية كلمة واحدة. وكان جبران يجتهد طول حياته للحرية، ورأى المحبة هي الحرية كما قال "فالمحبة هي الحرية الوحيدة في هذا العالم لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم ولا تسوده نواميس الطبيعة وأحكامها"¹⁴.

ولا يتولد الحب بمعاشرة طويلة لأنه مما قد يخلق الإله في قلب الإنسان بدقيقة. وقال جبران "ما أجهل الناس الذين يتوهمون أن المحبة تتولد بالمعاشرة الطويلة والمرافقة المستمرة. إن المحبة الحقيقية هي ابنة التفاهم الروحي، وإن لم يتم هذا التفاهم بلحظة واحدة لا يتم بعام ولا بجيل كامل"¹⁵. وهنا يعاكس جبران رأي إيريتش فرام الذي يقول أن المحبة فن مكتسب، وجبران رأي الحب مخلوق خالص في قلب الأحياء. وإنما رآها قد تتطور بالرفاقة والعشيرة.

الإيمان بالدين عنصر هام في توجيه فلسفة الرجل. وحين نبحت عن فلسفة جبران نرى أنه لم يحدد فلسفته ودينه في دائرة الدين المنظمة أي المسيحية. وكان إيمانه بالمسيحية شديد راسخ. ولكنه يختلف عن إيمان الرهبان والمطران. ولذا يقول جبران "وأي تعليم أباح للرهبان والكهان بيع صلواتهم وتعازيهم بالفضة والذهب".

ينظر جبران إلى العمل في علاقته بأسرار الطبيعة التي تحكم على الإنسان أن يعمل، لكي يرافقها ويجري مجراها وهي متحركة وفي العمل حركة وحياء، وفي رأيه الجمود موت. كما أن العمل يؤلف بين الإنسان وروح الأرض، لأن الأرض لا تزال تنبت وتعطي ثمارها. فإذا عمل الإنسان في الأرض، فإنه اشتراكه مع روح الأرض في وظيفتها التي هي التجدد والعطاء¹⁶. والعمل ليس يهدف إلى معيشته فقط بل هو

¹⁴ الاجنحة المتكسرة- المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 182

¹⁵ الاجنحة المتكسرة- المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 191

¹⁶ المفيد في الأدب العربي، الجزء الثاني- جوزف الهاشم.

منصوب ليعرف روح الأرض وأسرار الإنسان، ولذلك قال الله للإنسان أولاً: يعرق جبينك تأكل الخبز¹⁷. وفي

نظره أن العالم مزرعة حيث يعمل الفلاحون بجد وجهد حتى يحصدوا ما بذروا وأصبحوا مسرورين. فتصير

الأرض ملكاً لمن أحيها والكروم نصيباً لمن ينقبها ويحراثها.¹⁸ وفي هذا الرأي نرى بعض المشابهة باعتقادات

الماركسية ظاهراً وضحاً. وكذلك رأى العمل عبادة لله.

المصادر والمراجع

- * جبران خليل جبران حياته ، موته، أدبه، فنه: ميخائيل نعيمة
- * قصة الأدب المهجري: د/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الكتاب اللبناني – بيروت
- * جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنية – الدكتور جميل جبر
- * المجموعة الكاملة – جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة- عربي
- * دمة وابتسامة - المجموعة الكاملة – جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة-
- * المجموعة الكاملة- جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة
- * المفيد في الأدب العربي، الجزء الثاني- جوزف الهاشم.

¹⁷ خليل الكافر، المجموعة الكاملة – جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 151

¹⁸ خليل الكافر، المجموعة الكاملة – جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص: 165